



التشبيه في رثاء الأب في العصر العباسي

The Analogy In The Lamentation of The Father In The Poetry in The Abbasid Era

أ.م.د. أحمد كاظم جواد

الباحثة سهير عبد الزهرة موسى

كلية الآداب/ جامعة الكوفة

Asst Prof Dr. Ahmed Kazem Jawad

Suhair Abdel-Zahra Mousa

Faculty of Arts/ University of Kufa

DOI: [https://doi.org/10.36322/jksc.175\(D\).18721](https://doi.org/10.36322/jksc.175(D).18721)

الملخص:

إن موضوع الرثاء موضوع قديم، لأنه يتعلق الموت المصير المحتوم للبشر منذ الأزل ، وإن رثاء الأب كانت له المكانة المهمة في الشعر ، فقد حظي هذا الموضوع باهتمام الشعراء في العصر العباسي ولعل بنية التشبيه هي النواة التي تؤسس لكثير من أشكال البيان الأخرى ، لذلك كان للتشبيه نصيب وافر من أدوات البيان التي استعملت في نقل المشاعر والمواقف تجاه فقد الأب. الكلمات المفتاحية: الرثاء ، الأب ، تشبيه ، المشبه ، المشبه به ، المحسوس ، المعقول.

Abstract:

The subject of Lamentation is an ancient subject, for it is related to death, and the lamentation of the father had an important role in poetry. This subject had intrigued the poets in the Abbasid era. And perhaps this structure of the simile is the core that establishes many other forms of the rhetoric, Therefore, simile had a noticeable presence in the rhetoric tools that were used to convey emotions and situations towards the loss of the father.

Keywords: Lamentation , The Father ,Simile ,the likened ,the likened to ,the concrete , the abstract.



المقدمة:

إن موضوع الرثاء يعد من أبرز موضوعات الشعر قديماً وحديثاً لارتباطه بظاهرة الموت الذي كتبه الله على البشر جميعاً وجعل الإنسان يقف عاجزاً أمامه ، لأنه بخطف الأحبة ويغيبهم عن الأنظار . أما موضوع التشبيه فهو من الموضوعات المهمة لأنه يقع في مقدمة أقسام البيان التي يطرد استعمالها في الأدب عموماً والشعر خصوصاً .

وللتشبيه أهمية كبيرة في الكلام لأن له صلة بطبيعة التفكير والتعبير، فهو نوع من القياس والموازنة والتقريب بين الأشياء من زوايا معينة، ومما يلاحظ في قصائد رثاء الأب أن الشعراء استعملوا التشبيه بأنماطه المختلفة للتعبير عن عواطفهم وأحاسيسهم تجاه فقد الأب ومدى اعتزازهم به ومكانته لديهم . أما هيكل البحث فقسمته على مبحثين الأول درست فيه تشبيه المحسوس بالمحسوس ، والآخر درست فيه تشبيه المعقول بالمحسوس .

يسمى الركنان الرئيسان في التشبيه بطرفي التشبيه، وهما المشبه والمشبه به، إذ لا يكون للتشبيه قوام من دونهما، ومن هنا كانت معرفه طبيعتهما وانتمائهما إلى عالم الحس أو عالم المعنى من الأهمية بمكان، فقد سلط الدارسون الضوء على طبيعة التشبيه في الشعر الجاهلي ووجدوا غلبة الجانب الحسي على الجانب العقلي، وظلت هذه الغلبة حاضرة في عصور الشعر الأخرى بمقدار معين، وعند استقراء قصائد رثاء الأب نجد أكثر التشبيهات تنتمي إلى عالم الحس، أي أن المشبه أو المشبه به يدركان بواسطة حاسة من الحواس الخمس.

المبحث الأول: تشبيه المحسوس بالمحسوس:

يغلب على طرفي التشبيه في قصائد رثاء الأب أن يكونا مدركين باللمس ومن ذلك قول الشاعر محمد بن أبي العتاهية^(١) في رثاء أبيه:

أيا كبداً ما لها سكنة فتسكن أحشاؤه الخافقة
كأن وسادي على جمرة به، في توقدها، لاصقة^(٢)

يصف الشاعر حزنه على فراق أبيه وشدة الالتهاب والحرقة كأن وسادته لاصقة على جمرة في الكبد وهي متوقدة لا تخمد، وقد استعمل الشاعر التشبيه لبيان حالته النفسية وما يشعر به من حزن ومن الطبيعي أن يكون الشعراء هم أكثر الناس تأثراً بالفقد، لذلك نجد ((الحضور المكثف لظاهرة الحزن في قصيدة الرثاء، وهذا جعل منها ظاهرة أصيلة تتبع من جوهر النص الشعري))^(٣)



ويعد الحزن من أكثر العوامل التي تساعد على تقجير الطاقة الابداعية عند الشعراء، حيث ((تولد مشاعر الحزن في نفس انفعالات تهيجية على قول الشعر، وتبرز قيمة هذه الانفعالات عند الرثاء))^(٤) ويوضح التشبيه المشاعر التي ترافق ذوي الفقيد في ساعات الاختلاء بالنفس ومنها ساعة وضع الرأس على الوسادة عندما تتهمر الذكريات مهاجمة الألم الذي يشعر به بسبب فقدان الحبيب، لذا كان رصد التشبيه المحسوس الذي نحن بصده مأخوذا من شعور متفرد نحو فقد عزيز قريب وليس شخصية عامة، بمعنى أن هذه الصورة الحسية للمسية عبرت عن شعور صادق إزاء الفقد وذلك بأن الفقيد مهما كان عظيما وعزيفا فإن ذكره لا تصاحب المرء إلى منامه إلا إذا كان قريبا كقرب الأب.

ومن التشبيه الحسي في رثاء الأب ما يدرك بالبصر قول الشاعر عبد العزيز بن عبد الرحيم^(٥) يرثي أباه:

أشدُّ أيُّها الناعي وإن كُنْتُ لا تدري بِكُنْهِ الذي تَنْعَى مِنَ الدِّينِ وَالقَدْرِ
وَمَنْ رُكُنْ أركانِ المُلُوكِ الَّذِي بِهِ تَلُودُ إذا حَلَّ الجَسِيمُ من الأمرِ

...

وَمَنْ كَانَ إنْ أَرْضُ مِنَ المَحَلِّ أَظْلَمَتْ رَمَاهَا بأنْفَى للظَّلامِ مِنَ الفجرِ
بِوَجْهِه كَأَنَّ السَّبْرَ فوقَ جَبِينِهِ وَبَدَلِ لُهي الأُمُوالِ بالنائِلِ الغَمْرِ^(٦)

يصف الشاعر وجه أبيه بالنور والضياء الذي ينفى الظلام كما يفعل الفجر وأكثر، فهو وجه مضيء كأن البدر فوق جبينه، وقد استمد هذا التشبيه من الطبيعة التي يملأ فيها ضياء البدر المكان في الليالي المقمرة، وهو تشبيه معروف عند الشعراء، ويدل هذا التشبيه على مكانة المرثي ومنزلته الرفيعة، فقد كان أبوه جليلا من بني هاشم له أدب وعارضة، وبلاغة ونجدة وبيان و ولاية المعتصم بالله اليمين^(٧). وكذلك شبه الشاعر كرم والده وجوده بالماء الكثير، وقد استعمل الشاعر التشبيه المتكامل الأركان في وصف أبيه بشكل مباشر والسبب في ذلك كون الأب هو الركن المتين والناصح الأمين الذي يعد غيابه فقداً للحامي والسند، فليس غريبا أن يهتم الشاعر بذكر مآثر أبيه. ومن التشبيهات التي تدرك بالبصر ويظهر فيها تأثير البيئية على الشاعر قول أبي محمد عبد الله بن أحمد بن يوسف:

فتى كَانَ مَثَلِ السيفِ إنْ هَزَّ مَتْنُهُ أتى حُدَّهُ دُونَ الطلَى والغُورابِ^(٨)

ينطلق الشاعر في خلق تشبيهاته من محيطه ومما وقع بصره عليه، داخل بيئته، فالبيئية توفر المادة التي يشكل منها الشاعر تشبيهاته، لذلك كان التشبيه في كل العصور متأثرا بالبيئية حاملا لسمااتها، يقول مصطفى الهاوي الجويني ((فهو فن من فنون التعبير الشعري أولع به الشعراء منذ الجاهلية فوافق طبائعهم وجاء مستمدا من بيئتهم البدوية))^(٩).





وقد شبه الشاعر أباه بالسيف القاطع الذي يأخذ برقاب الأعداء وتمكنه من شجعانهم، واستعمل الشاعر التشبيه المباشر في بيان قوة المرثي وصلابته وشجاعته، ونلاحظ تأبين الشاعر لأبيه وذكر صفات البطولة و الشجاعة، وقد كان أبوه كاتباً في دولة بني العباس، وهو معروف في الكتابة والشعر، وقد قيل له ((وصفت أباك بالشجاعة والقتال وهو كاتب حبار! فقال والله ما وصفته إلا بما هو فيه، ولقد حجبتُ معه سنة فخرج علينا أعرابٌ فما كان في القافلة أشجعُ منه، قَتَلَ فارساً وأسر فارساً، ولكنه كان يكتُم هذا ولا يذكره))^(١٠) ووزر للمأمون بن احمد بن خالد^(١١)، فالتشبيه هنا يأتي من أجل بيان صفة الشجاعة التي خفيت على بعضهم فلا حاجة للتأكيد أكثر من استعمال التشبيه بأركانه المكتملة.

ومن التشبيهات الحسية البصرية التي وردت في قصائد رثاء الأب التشبيهات التي وردت في سياق وصف الخيل لإبراز صفة الشجاعة والفروسية للمرثي، فجاء وصف الخيل عند أكثر من شاعر، ومن ذلك تشبيه الشاعر عبد العزيز بن عبد الرحيم الخيل بكواسر العقبان في قوله:

فوا كبدأ لوفي الوغى كان موتهُ بَكَيْنًا عَلَيْهِ بِالرُّدِينِيَّةِ السَّمْرِ
وبالبيض و المرفوعة الزُّرْق دَمْعُهَا دَمَّ عَانَدٌ يَنْتَالُ بِالْعَلَقِ الحُمْرِ
وبالخيَلِ يعلُكُنَّ الشكِيمَ كأنَّهَا كَوَاسِرُ عُقْبَانٍ نَوَاضَ عَنْ قَدْرِ
يَخْضَنَ نجيعاً مائراً بعدَ جامِدٍ فلأيا تبيِّنُ الكُمْتُ فيها من الشُّعْرِ^(١٢)

يندب الشاعر أباه بزفات ملتهبة وعاطفة جياشة تشمل في طياتها جوانب متعددة من الحزن والتفجع والتألم للمصاب الجلل، واستذكار للماضي الذي كان مليئاً بالأحداث التي لا يستطيع الشاعر نسيانها، فقد كان أبوه والياً على اليمن، ثم ولي المعتمد بالله إيتاخ^(١٣) على اليمن بعد ذلك، فولى إيتاخ عليها الشار^(١٤)، فحمل الشار إلى إيتاخ عبد الرحيم (والد الشاعر) فطالبه إيتاخ بالخراج وحبسه لامتناعه عليه، فمات في السجن بعد مدة^(١٥) ويذكر الشاعر ألمه وحسرتة؛ لأن أباه لا يستحق هذا المصير ولو أنه مات في الحرب كان ذلك أفضل لأنها ميته الفرسان المشرفة، وقد استعمل الشاعر التشبيه للخيل بكواسر العقبان وهي الطيور القوية الجارحة، وفي ذلك دليل على أن هذه الخيول القوية تليق بالفرسان الشجعان فالشاعر يشير بطريقة غير مباشرة إلى قوة أبيه ويشيد بفروسيته وبلائه في الحروب. وكذلك جاء تشبيه الخيل عند الشريف الرضي^(١٦) في قوله :

أنعَاكَ لِلخَيْلِ المُغِيرَةِ شزباً حَبَطَ المَعَارَ بهنَ مَنْ لَمْ يُجْرِمِ
كالسَّرْبِ أوجسَ نبأةً من قانصٍ فَمَضَى يَلْفَ مُؤَخَّراً بمقدم^(١٧)





يصور الشاعر حزنه وآلامه وأحاسيسه الملتاعة وما تملكه من الحزن، فهو يعنى أباه للخيل ويخبرها بموته وهي ليست خيلاً اعتيادية بل هي خيل ضامرة جاهزة للإغارة ويصور الشاعر تأثر الخيل بهذا الخبر الحزين وقد شبه الخيل بسرب الطباء عندما أحس بصوب القانص كيف صارت حركته عشوائية مضطربة، ويبين هذا التشبيه أن غياب الأب له أثر كبير في نفس الشاعر وكأن كل شيء تأثر بفقد أبيه وغيابه وها هي الخيل تتأثر لسماع نعي فارسها حتى كأنها سرب طير أدرك خطر القنص فاضطرب، وأراد الشاعر من خلال هذا التشبيه أن يؤكد المكانة العالية لأبيه فقد كان القائد والفارس وله منزلة مرموقة في المجتمع، كان والد السيد الرضي عالماً جليلاً يكنى أبا أحمد وقد تربع على كرسي نقابة الطالبين، وتولى أيضاً إمارة الحج وقد كانت لمنصب نقابة الطالبين أهمية معنوية واجتماعية كبيرة وقد حظي أبو أحمد بمقام ومنزلة سامية إلى درجة إنه لم يكن يرى نفسه موظفاً كسائر العلماء الذين يرتادون بلاط الخليفة أو بلاط آل بوية^(١٨).

ويشبه الشريف المرتضى^(١٩) في رثاء أبيه الخيل بالسهام المنطلقة في قوله:

فمن للخيل يقدمها مغداً ينازعن الأعنة كالدحاح^(٢٠)

لم يختلف موقف الشاعر الشريف المرتضى عن موقف أخيه الشريف الرضي تجاه أبيه فقد كان له أثر كبير في حياته أيضاً والشاعر يشكو فقد أبيه وغيابه فهو الذي كان يحث الخيل على السرعة ويشير الشاعر بذلك إلى صفة القيادة التي تحلى بها أبوه ويشبه الخيل بالسهام المنطلقة وهي من صفات الخيل الأصلية التي تدل على فروسية وشجاعة فرسانها، وتظهر براعة الشاعر في تصوير المشهد ومنحه الحركة من خلال تشبيه الخيل بالسهام المنطلقة. ومن التشبيهات التي تدرك بالبصر تشبيه الشريف الرضي أباه بالفرسان الذي أصبحوا مثلاً للشجاعة والبأس في الحروب فيقول:

عَمْرِي لَقَدْ قَدَّفُوا الْكُرُوبَ بِفَارِحٍ مِنْهُ وَقَدْ رَجَمُوا الْخُطُوبَ بِمَرْجَمٍ
فكأنما قرعوا القنا بعتيبة ولقوا العدا بربيعة بن مكرم^(٢١)

يبين الشاعر صلابة والده وشدته في الحروب بتشبيهه بفرسان الجاهلية الذين كانوا يضرب بهم المثل في الشجاعة والفروسية، وقد اختار الشاعر الفرسان بعناية فقد تميز عتيبة بن الحارث^(٢٢) إلى جانب شجاعته بالثقافة أيضاً، فقد كانت العرب تقول: لو أن القمر سقط من السماء ما التقفه غير عتيبة لثقافته، وكان يسمى صياد الفوارس، لذلك شبه الشاعر أباه بعتيبة بن الحارث لشجاعته وثقافته، وكذلك شبهه بربيعة بن مكرم^(٢٣)، أحد فرسان مضر المعدودين وشجعانهم المشهورين، وفي هذا التشبيه مدح





للمرثي وبيان مكانته الكبيرة في نفس الشريف الرضي. ويستمر الشاعر بوصف شجاعة أبيه وبسالته في الحروب فقد نقشت القنا جلده وجروحه عميقة وواضحة كشدق الأعم :
أو ناقش من جلده شوك القنا عن كل فاعرة كشدق الأعم^(٢٤)

يذكر الشاعر شجاعة أبيه وفروسيته في الحروب في كل القصيدة، ويكثر من المدح والإشادة بما اتصف به من شجاعة فقد كان فارساً في الحروب وإن جلده كانت عليه نقوش من شوك القنا وهي جروح عميقة مفتوحة وقد شبه تلك الجروح بالأعلم ، والأعلم : مشقوق الشفة، وهذا دليل على أن هذه الجروح واضحة للعيان، ويدل هذا التشبيه على أن والد الشاعر كان يخوض الحروب دون خوف ولا وجل وكانت جروحه أوسمة ودليلاً على انتصاراته ، ومن التشبيهات التي يكون طرفاها حسيين تشبيه الشريف المرتضى الغمام بالإبل بقوله :

ورواك الغمام الجون يسري بطيء الخطو كالإبل الرزاح^(٢٥)

يدعو الشاعر لقبر أبيه بالسقيا الدائمة وقد نهج في ذلك نهج القدماء من الشعراء فقد ذكروا الدعاء لقبر الميت بالسقيا كثيراً في شعرهم ، ((الجاهليون استمطروا السماء بالماء وأرادوا من ذلك محاربة الفناء وحب البقاء وتجدد الحياة ، لذا كان الماء عند الجاهليين غيثاً لهم))^(٢٦)

وقد شبه الشاعر السحب البيضاء بالإبل الساقطة من الإعياء في البطء يريد القول وأنزلت عليك السحب البيضاء أمطارها بطيئة مثل الإبل المنهكة وقد أراد الجاهليون لقبور موتاهم أن تبقى غضة ندية يكسوها العشب - دلالة على الحياة الدائمة - و أن تظل محمية من الدروس، طرية لا يتسلط عليها ما يزيل جدتها ونظارتها^(٢٧) ومفهوم الدعوة بالسقيا تأخر وفق الرؤية الإسلامية، فالماء بالمفهوم الإسلامي رمز الحياة ان لم يكن هو الحياة نفسها^(٢٨) لقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾^(٢٩) وهذا التشبيه يبين مدى حب الشاعر لأبيه ودعائه له.

ومن التشبيهات التي يكون فيها الطرفان حسيين تشبيه أبي العلاء المعري^(٣٠) العرب الفصحاء بأنهم ذوو لكنه إذا ما قورنوا بأبيه فيقول:

أمولي القوافي كم أراك انقيادها لك الفصحاء العثرب كالعجم اللكن^(٣١)

ولد المعري في بيت علم وفضل ورئاسة، ويرجع نسبه إلى بني الساطع وهم فرع من تنوخ، وكانوا يعرفون بالشرف والرئاسة والشجاعة، ونشأ المعري في بيت على حظ كبير من الثقافة الدينية وكان والده هو أستاذه الأول الذي تلقى على يديه العلم، ويذكر العلماء أنه قرأ على أبيه بالمعرة اللغة والنحو وأتقنهما





القيامة أم يجري على خلقه القديم، وإذا كان الجبل القوي الشامخ يتغير ويصير كالعهن فكيف بحال أبيه، وفي ذلك التشبيه نظرة متفردة وجمال في نقل إحساس الشاعر بوالده.

المبحث الثاني: تشبيه المعقول بالمحسوس:

تمثل التشبيهات الحسية في قصائد رثاء الأب النمط الغالب، إلا ان التشبيهات التي يكون أحد طرفيها معقولاً والآخر محسوساً كان لها وجود تستدعيه الحال التي عليها الشاعر، كقول بن الصباح الأشعث^(٣٧):

تذكرت صَبَاحاً ففاضت بِدَرَّةٍ
حرارة حزنٍ في الجوانحِ كالجمرِ^(٣٨)

يشرح الشاعر ما يكابده من ألم وحزن، فهو لا يستريح في يقظة ولا نوم، لقد شبه الشاعر حرارة حزنه على أبيه بالجمر المتقد الذي تثيره الذكريات، وقد جعل الشاعر المشبه في شقين أحدهما مدرك بالحس وهو الحرارة والآخر مدرك بالعقل وهو الحزن، فحرارة الحزن مزيج بين المعقول والمحسوس، فلو أن الحزن شيء محسوس لكان الحرارة التي تنتج عنه شيئاً محسوساً ولكن إضافة الحرارة للحزن جعلت منها حرارة معنوية غير محسوسة، ناتجة عن تذكر الشاعر أباه دائماً وهذا يدل على شوق الشاعر لأبيه ولوعته على فراقه ومقدار اعتزاز الشاعر به، تلك المكانة التي لا تكون لأحد سواه. ومن تشبيه المعقول بالمحسوس، قول الشريف الرضي :

فكأن مَجْدَكَ بَارِقٌ فِي مُزْنَةٍ
قَبْلَ العُيُونِ وَغَرَّةٌ فِي أَدْهَمِ^(٣٩)

ضمن الشاعر مرثيته إشادة بمناقب أبيه، وتعداداً لفضائله وصفاته النفسية والأخلاقية، وذكر مجد أبيه الذي شبهه في لمعانه ووضوحه بالبرق الذي يملأ السماء بالضياء دليلاً على أن أفعال أبيه وأمجاده واضحة للعيان يعرفها الناس ويشيدون بها، وأمجاده تشبه البياض في جبهة الفرس وأراد الشاعر في هذا التشبيه التأكيد على بياض أفعال أبيه عندما شبهها مرة بالبرق اللامع ومرة ببياض جبهة الفرس لأن البياض يدل على النقاء والصفاء، فالشاعر يريد الإشارة إلى أمجاد أبيه البياض النقية التي يعرفها الناس ويشهدون بها له، واستعمل الشريف الرضي أيضاً تشبيه المعقول بالمحسوس في مدح أبيه وأنه كان أهلاً لحل الصعاب و نائبات الدهر بقوله:

تَنْقُضُ عَنْهُ النَّائِبَاتُ كَأَنَّهَا
وَبُرَّ المَوْقِعِ نَشَّ تَحْتَ المَيْسَمِ^(٤٠)

كان والد الشاعر متمكناً من حل الصعاب بما يملكه من حنكة وحكمة في تدبير الأمور والأخذ بناصية النائبات وترويضها، لذلك شبه الشاعر النائبات بوبر البعير الذي نضب تحت المكواة واختفى، إشارة إلى سهولة التخلص منها والتغلب عليها، ومن تشبيه المعقول بالمحسوس قول أبي العلاء المعري يصف خبر نعي أبيه:





كأن دعاء الموتِ باسمك نكزةً فرتِ جسدي، والسّمُ ينفثُ في أذني^(٤١)

كان خبر موت الأب شديد الوقع على الشاعر أبي العلاء المعري لأن والده كان يمثل له السند والقوة في الحياة، فقد كان أبوه المعلم الأول في حياته وهو الذي قاده إلى عالم يمنحه نور البصيرة ويعوضه عن فقدان بصره ويفتح له آفاق الوجود المغلق، فقد سمع الحديث من أبيه وتتلّمذ على يديه، ثم مضى به أبوه إلى بيئة سخية بأسباب المعرفة والفكر، وأقبل المعري على العلم يغترف من مناهله حتى أصبح أديباً واسع الاطلاع والمعرفة، محيط بعلم اللغة وتاريخ الفكر، وقد يصعب ذلك على المبصرين لذلك شبه الشاعر خبر موت أبيه بلدغة الأفعى التي مزقت جسده وجعلت السم ينفث في أذنه ويعبر هذا التشبيه عن الحالة النفسية للشاعر وما كان يعانيه من ألم وصدمة جعلته يقف متأملاً الحقيقة المؤلمة التي لا مفر منها وهي الموت .

يستعمل الشاعر أبو العلاء المعري تشبيه الدنيا بالمرأة في تفسيره لحقيقة الموت في قوله:

كأنّ بنيتها يولدون ومالها حليلٌ فتخشى العارَ إن سمحت بابن^(٤٢)

كان المعري متشائماً، كارها للحياة وملذاتها وهناك دوافع متعددة لذلك التشاؤم أهمها عماء المبكر وفقده لأبيه وقد أثرت هذه العوامل في نفسية أبي العلاء وجعلته ينظر إلى الحياة نظرة تشاؤم وقلق، وكثيراً ما ينقم على الدنيا ويذمها وينعتها بأبشع الصفات، وقد اعتاد أبو العلاء المعري أن يجمع بين المرأة والدنيا في شعره، وربما أراد بذلك توضيح العلاقة بين الدنيا والإنسان وهي علاقة تلازم وألفة، وقد شبه المعري الدنيا بالمرأة الزانية التي تلد بلا زوج لها، فهي إن لم تتدّ ابناً تنسب إلى الزنا فتخشى العار من ترك واحد من بنيتها لذلك تهلكهم وتقطع أثرهم لأنها تخشى الفضيحة والعار، وفي هذا التشبيه تظهر نقمة أبي العلاء على الدنيا وكيف ذمها ووصفها بالبشاعة.

ومن تشبيه المعقول بالمحسوس، قول ابن حمديس^(٤٣):

رأيتُ الحِمَامَ يُبيد الأنامَ ولدغتهُ ما لها راقية
وأرواحنا ثمراتٌ له يمدُّ إليها يداً جانية^(٤٤)

شبه الشاعر أرواح الأنام بالثمرات التي يقطفها الموت، وهو على يقين أن لا نجاة من الموت وأن الخلود مستحيل، فهو مسلم بذلك ومؤمن به، وما تشبيه الأرواح بالثمرات إلا تسليم بأنّ النهاية الطبيعية لا تكون إلا بالجني، فهو تصبير للنفس عن الفقد، وهذا ما أفصحت عنه الأبيات التالية:

وكل امرئٍ قد رأى سمعهُ ذهاباً من الأمم الماضية
وعاريةً في الفتى روحهُ ولا بد من رده العارية^(٤٥)





وكذلك قول ابن سناء الملك^(٤٦) :

وأنت الذي أبصرت في الخلد ساكنا ولا تتكرن بعض البصائر أبصار^(٤٧)
يذكر الشاعر أن أباه شوهده في عالم الرؤيا في الجنة، والجنة هي مصير المؤمنين في الآخرة وقد شبه
الشاعر بعض البصائر بالأبصار، وقصد بذلك ان البصائر الشفافة للناس الذين يتمتعون بنفوس طيبة
وصفاء القلب، تكون بصائرهم مثل البصر الحقيقي فتكون رؤاهم مؤكدة وكأنهم يرون ذلك حقيقة واضحة.
وكذلك قوله :

وهل تمحى الآثارُ منك وبعضُها من الغيثِ أنواءً وفي الصبحِ أنوارُ^(٤٨)
يتساءل الشاعر سؤالا استنكاريا، فهو ينفي امحاء آثار أبيه لأنه شبهها بأشياء باقية لا تزول فبعضها
أنواء من الغيث وقصد بذلك عطاء أبيه الذي شبهه بالمطر الشديد الذي يغدق به على سائليه، وبعضها
الآخر منها تشبه أنوار الصباح، أي انها أفعال بيضاء فيها من العزة والكرامة ما يجعلها مشرقة واضحة لا
يمكن إنكارها والإغفال عنها، وهي باقية دائمة، تهدي الناس وترشدهم مثلما تفعل أنوار الصباح .
وكذلك ورد تشبيه المعقول بالمحسوس في قول الشاعر ابن الجنان الأنصاري^(٤٩):

إني دهيت بما حلم الحليم له كالطود ان خف من روعاته وهفا^(٥٠)
يصف الشاعر حاله بعد موت أبيه، فعلى الرغم من حلمه وحكمته إلا انه لم يستطع التحمل، فكأنه فقد
شموخه وعزته وأصبح ضعيفا لا يقوى على مواجهة الحياة وتحملها وحده، فالأب هو السند الذي يتكى
عليه الابن مهما بلغ من العمر ومهما وصل إلى مكانة في الحياة، ويشبه الشاعر الحلم بالجبل الشامخ
الذي سقط، وفي ذلك دليل على هول الحدث الذي أصابه.
وقال ابن الجنان الأنصاري أيضا :

بيننا أعلله من سكرة غشيت لم أدِر كيف كخطف البارق اختطفا^(٥١)
يصف الشاعر موت أبيه وكيف كانت حالته عندما غشيت سكرات الموت، وقد شبه سرعة موته بسرعة البرق
البرق، وقد عبر عن ذلك بقوله: كخطف البارق اختطف، ويدل الاختطاف على الأخذ قسرا وإن الشاعر
لم يكن مستعدا لموت أبيه ولم يتوقع ذلك، وسبب حزنه وشجونه أن أباه توفي وهو مشتاق إليه، لأن ابن
الجنان عندما غادر مرسية لم يستطع أبوه مرافقته فقد منعه المرض، وعند عودة ابن الجنان توفي أبوه بعد
تسع ليال من لقائهما بعد فراق دام عاما كاملا، فيتحدث الشاعر ابن الجنان عن الموت ويشبهه بطالب
النار :

ريبُ المنون له وطء على حنق كطالب النار يلقى غاضبا أسفا^(٥٢)





يتحدث الشاعر عن الموت ويشبّهه بطالب الثأر الذي يسير غاضبا ساخطا ساعيا وراء المطلوب للثأر وإيجاده وأخذ الثأر منه، ويريد الشاعر أن يوضح أن الموت يلاحق البشر ولا يكف عن ذلك حتى يدركهم ويأخذ أرواحهم .

ويستمر الشاعر في وصف الموت بقوله :

الصعبُ سهلٌ اذا ما كان يطلبه والعلوُ سفلاً وكالإصباح كلُّ خفا^(٥٣)

يذكر الشاعر أن الموت لا يقف في وجهه شيء، ولا يردعه رادع فهو المصير المحتوم لكل البشر ولا مهرب منه، وأنه إذا أراد أن يطال أحداً، فإن الصعب أمامه سهل والعلو يصبح أسفل، وكالإصباح كل خفا أي أن الشيء الخفي الذي لا يمكن الوصول إليه يصير واضحاً كأن الصبح طلع عليه فتكون الرؤية واضحة أمام الموت، وفي ذلك وصف مرعب للموت الذي يحصد الأرواح دون توقف، ولا يمكن الاختباء منه وتحصين النفس، فهو يتحدى الصعوبات ولا تعيقه الأماكن العالية والمخفية، لذلك يجب التسليم للأمر المحتوم.

ونجد التشبيه الذي يكون طرفاه عقليين في قول الشريف المرتضى :

فُتِنْتُ بِهَا وَمَنْظَرُهَا قَبِيحٌ كَمَا فُتِنَ الْمُتَمِّمُ بِالْمَلِاحِ^(٥٤)

يشبه الشاعر فتنة الدنيا بفتنة المتيم بالنساء الجميلات وإن الدنيا برغم ما فيها من ألم وعذاب وشقاء فإن الإنسان يجبها ويتمسك بها.

الخاتمة:

١ أجاد شعراء العصر العباسي في استعمال التشبيه وتوظيفه بشكل يلائم وطابع الحزن الذي كان يخيم على قصائد رثاء الأب .

٢ ورد تشبيه المحسوس بالمحسوس بنسبة كبيرة في شعر رثاء الأب في العصر العباسي .

٣ ورد تشبيه المعقول بالمحسوس بنسبة أقل مقارنة بتشبيه المحسوس بالمحسوس .

٤ تأثر شعراء العصر العباسي بالبيئة التي عاشوا فيها ، فكثرت تشبيه المحسوس بالمحسوس في شعرهم ، وربما ساروا على نهج القدماء من الشعراء الذين كان يكثر في تشبيهاتهم تشبيه المحسوس بالمحسوس .

الهوامش:

(١) محمد بن ابي العتاهية هو ، محمد (العتاهية) بن إسماعيل (أبي العتاهية) بن القاسم ابو عبد الله ،شاعر عراقي مطبوع، هذا طريقة ابيه في شعر الزهد وتقدم في الادب والفقہ وولي القضاء برهة ، واخذ عنه بعض كبار العلماء في





- عصره كالنسابة ابن ابي خيثمة بن ابي الدنيا والمبرد والحافظ ابراهيم ابن اسحاق الحربي , توفي سنة ٢٤٤ هـ , الاعلام ٣٤/٦ .
- (٢) المذاكرة في القاب الشعراء، مجد الدين النشابي: ١٤٣ .
- (٣) رثاء الأسرة في شعر ابن حمديس الصقلي، مصلح بن بركات المالكي : ١٢٩ .
- (٤) التشبيه في مختارات البارودي: ٢٤١ .
- (٥) عبد العزيز بن عبد الرحيم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب قال عنه الصولي كان شاعرا محسنا مطيلا مدح المتوكل , الوافي بالوفيات : ٣١٧/١٨
- (٦) التعازي والمراثي، المبرد: ٢٦٦ .
- (٧) المصدر نفسه : ٢٦٥ .
- (٨) الأوراق، الصولي: ٢٣٨ .
- (٩) البلاغة العربية تأصيل وتجديد، مصطفى الصاوي الجويني: ٩٥ .
- (١٠) من كتاب الأوراق، الصولي: ٢٣٨ .
- (١١) الأعلام للزركلي، ٢٧٢/١ .
- (١٢) التعازي والمراثي، : ٢٦٧ .
- (١٣) إيتاخ التركي: مملوك اشتراه المعتصم ومكنه من الحكم وجعل له مكانة في الدولة وبيده القتل والحبس، ولما تولى المتوكل أمر بقتله سنة ٢٣٥ هـ . ينظر : الأغاني: ١٨٤/٧ .
- (١٤) الشار : مملوك كان مقربا لإيتاخ اسمه هرثمة شارباميان، ولاه ايتاخ اليمن سنة ٢٢٩ هـ. ينظر: الأغاني: ١٨٤/٧ .
- (١٥) التعازي والمراثي، المبرد: ٢٦٥ .
- (١٦) ابو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن الحسين بن علي بن ابي طالب عليهم السلام ولد في بغداد عام (٣٥٩ هـ) وكان له منزلة اجتماعية وسياسية رفيعة وأنه أشعر الطالبيين من مضى منهم ومن غير توفي (٤٠٦ هـ) , يتيمة الدهر : ٣ / ١٦٩
- (١٧) ديوان الشريف الرضي، المجلد الثاني: ٢٩٢ .
- (١٨) الكامل في التاريخ، ابن الاثير، ٥٣٧/٧ .
- (١٩) هو ابو القاسم , علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن ابراهيم بن موسى الكاظم عليه السلام لقب بنقيب العلوية والطالبين وشيخ الشيعة وعلم الهدى وذو المجدين والأجل والطاهر ولد في سنة (٣٥٥ هـ) في بغداد وتوفي سنة (٤٣٦ هـ) , وفيات الأعيان : ٣١٣/٣
- (٢٠) ديوان الشريف المرتضى، المجلد الاول: ٢٨١ .
- (٢١) ديوان الشريف الرضي، المجلد الثاني: ٢٩٣ .
- (٢٢) هو عتيبة بن الحارث بن شهاب فارس تميم وكان يسمى (صياد الفوارس) وحكى أن عبدة عن أبي عمرو المدني أن العرب كانت تقول " لو أن القمر سقط من السماء ما التقفه غير عتيبة لثقافته , الاعلام : ٢٠١/٤ ..





- (٢٣) ربيعة بن مكرم بن عامل بن خويلد بن جذيمة بن علقمة بن فراس الكناني ، أحد فرسان مضر المحدودين وشجعانهم المشهورين ، الاعلام : ١٧/٣ .
- (٢٤) ديوان الشريف الرضي، المجلد الثاني: ٢٩٣ .
- (٢٥) ديوان الشريف المرتضى، المجلد الاول: ٢٨٣ .
- (٢٦) الرثاء في الجاهلية والإسلام، د.حسين جمعة: ١١٨
- (٢٧) المصدر نفسه: ١١٩
- (٢٨) ينظر: المصدر نفسه: ١١٩
- (٢٩) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠ .
- (٣٠) () أحمد بن عبد الله بن سليمان كني بأبي العلاء ولكنه اختار لنفسه لقباً وأحبه كثيراً هو (رهين المحبسين) توفي سنة (٤٤٩ هـ) ، الأدب العربي في العصر العباسي : ٢٨٥
- (٣١) سقط الزند، أبو العلاء المعري: ١٥ .
- (٣٢) ينظر: في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، د. يوسف خلف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة : ١٦٢-١٦٣
- (٣٣) سقط الزند: ١٣
- (٣٤) سقط الزند : ١٦
- (٣٥) المصدر نفسه: ١٦
- (٣٦) المصدر نفسه: ١٣ .
- (٣٧) إسحاق بن الصباح بن عمران بت إسماعيل بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندي توفي (٢٧٧ هـ) / تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، ٢ : ٤٣٦
- (٣٨) الوافي بالوفيات، صلاح الدين العفري: ٢٧٠ .
- (٣٩) ديوان الشريف الرضي، المجلد الثاني: ٢٩١
- (٤٠) المصدر نفسه : ٢٩٣ .
- (٤١) سقط الزند: ١٦ .
- (٤٢) المصدر نفسه: ١٤ .
- (٤٣) هو عبد الجبار بن أبي بكر بن حمديس المكنى بأبي محمد ولد عام (٤٤٧ هـ) في مدينة سرقوسة الرابضة على سواحل صقلية الشرقية يتصل نسبه بقبيلة الأسد الكهلانية الا أنه لم يفتخر بنسبه هذا في شعره مثلما يفتخر بانه من بني النغر فهو يعتز بوطنه أكثر من اعتزازه بقبيلته ، وفيات الأعيان : ٣٨١/٢
- (٤٤) ديوان ابن حمديس، د.احسان عباس، دار صادر، بيروت: ٥٢٢ .
- (٤٥) المصدر نفسه : ٥٢٢ .





٤٦) هبة الله جعفر بن سناء الملك أبي عبد الله محمد بن هبة الله السعدي أبو القاسم ولد في مصر وتولى القضاء كأبيه توفي سنة (٦٠٨ هـ) ، الأعلام : ٨ / ٧١

(٤٧) ديوان ابن سناء الملك، المكتبة العربية، القاهرة: ٥١١.

(٤٨) المصدر نفسه. ٥١١

(٤٩) ابن جنان الأنصاري الأندلسي: هو أبو عبد الله بن أحمد الأنصاري المعروف بابن الجنان .ولقب بهذا اللقب عدد من أعلام الأندلس منهم محمد بن أحمد الجنان الغرناطي الأندلسي .وأبو بكر محمد عبد الغني الفهري المعروف بالجنان وهو أندلسي نزيل فاس ، مقدمة ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي : ٩

(٥٠) ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، تحقيق : د. منجد مصطفى بهجت، مكتبة لسان العرب: ١١٩ .

(٥١) المصدر نفسه : ١٢٢ .

(٥٢) المصدر نفسه : ١٢٥ .

(٥٣) ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي، تحقيق : د. منجد مصطفى بهجت، مكتبة لسان العرب: ١٢٥ .

(٥٤) ديوان الشريف المرتضى، شرح محمد التونجي: ٢٧٩.

المصادر والمراجع:

١-القرآن الكريم.

٢-الأدب العربي في العصر العباسي ،ناظم رشيد ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ط ١ ، ١٩٨٩ م .

٣-الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط ٧ ، ١٩٨٦ م .

٤-الأغاني ، أبي الفرج الأصفهاني المتوفى ٣٥٦ هـ ، تحقيق : د.يوسف البقاعي ، غريد الشيخ ، ج ٧ ، منشورات مؤسسة الأعلمي للطبوعات ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ٢٠٠٠ م .

٥-التشبيه في مختارات البارودي ،دراسة تحليلية ، إعداد محمد رفعت أحمد زنجير ، إشراف الدكتور عبد اللطيف خليف ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٥ .

٦-التشبيه في مختارات البارودي ،دراسة تحليلية ، إعداد محمد رفعت أحمد زنجير ، إشراف الدكتور عبد اللطيف خليف ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٥ .

٧-التعازي والمرثي والمواظ والوصايا ،للإمام الكبير أبي العباس محمد بن يزيد المبرد ٢١٠-٢٨٦ هـ ، تقديم وتحقيق ابراهيم محمد حسن الجمل ، مراجعة محمود سالم .

٨- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جمال الدين المزي ، الجزء الثاني ، المكتبة الشاملة .

٩- ديوان ابن الجنان الأنصاري الأندلسي ، تحقيق : د. منجد مصطفى بهجت ، مكتبة لسان العرب

١٠- ديوان ابن حميدس ، د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .

١١- ديوان ابن سناء الملك ، المكتبة العربية ، القاهرة .





- ١٢- ديوان الشريف الرضي لمصنفه أبو الحسن محمد بن حسين بن موسى بن ابراهيم بن موسى بن جعفر عليهما السلام ، المجلد الثاني .
- ١٣- ديوان الشريف المرتضى ، المجلد الأول ، شرح محمد التونجي ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- ١٤- رثاء الأسرة في ابن حمديس الصقلي ، مصلح بن بركات المالكي .
- ١٥- الرثاء في الجاهلية والأسلام ، د. حسين جمعة ، دار العلم دمشق ، ط١ ، ١٩٩١ .
- ١٦- سقط الزند ، أبو العلاء المعري ، تصحيح إبراهيم الزين ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م
- ١٧- في الشعر العباسي نحو منهج جديد ، د. يوسف خلف ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة .
- ١٨- الكامل في التاريخ ، عز الدين ابن الأثير ، تحقيق : عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
- ١٩- المذاكرة في ألقاب الشعراء ، تصنيف أبي المجد أسعد بن إبراهيم الشيباني الإرسلي المعروف بمجد الدين النشابي الكاتب المتوفى سنة ٦٥٧ هـ ، الطبعة الرابعة ، تحقيق شاعر العاشور .
- ٢٠- من كتاب الأوراق لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي المتوفى ٣٣٥ هـ ، عنى بنشره ، ج. هيورث . دن، دار الميسرة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٧٩ م.
- ٢١- الوافي بالوفيات ، تأليف صلاح الدين خليل بن ابيك الصفدي توفي ٧٦٤ هـ ، الجزء الثامن عشر ، أحمد بن محمد المرزوقي ، إسحق الأندلسية ، جارية المتوكل ، تحقيق واعتناء : أحمد الأرنؤوط ، تركي مصطفى ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
- ٢٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، ابن خلكان ابو العباس أحمد بن محمد ، تحقيق : د. احسان عباس ، دار صادر، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٧٨ .
- ٢٣- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، تحقيق : مفيد محمد ، ط١ ، ١٩٨٣ م .



